اللغة العربية والمصطلحات العلمية

مقال خطوط للمرحوم الدكتور صروف

لا نعرف في العربية بحثاً علميًّا ولا مصطلحات علمية قبل عهد بني العباس حينما استقدموا الاطباء والمنجمين من البلدان التي فتحوها وسهلوا لهم ترجمة الكتب الطبية والفلسفية من السريانية واليونانية والهندية وحينما جعل النابغون من رجالهم يؤلفون في العلوم الفقهية والفقهية وامثالها اقتداء بالامم التي فتحوا بلادها. فاضطروا حينئذٍ الى استعمال المصطلحات الطبية لان الالفاظ المستعملة في الكلام لا تعبر عن معنًى جديد لا يعرفهُ المتكلمون بها ولاسيما اذا كانوا لا يزالون على حال البداوة كما كان العرب في ذلك العهد

ويظهر لنا من النظر في الكتب العلمية التي ظهرت بالعربية وضعاً او ترجمة في القرون الستة الاولى أن هذه الكلمات الاصطلاحية تنقسم الى ثلاث طوائف

الطائفة الاولى الكلمات العربية التي استعملت كما هي ولكن وضع لها معنًى مجازيّ يشبهُ معناها الوضعي مثل كلمة الماضي للفعل الدال على معنى حدث في الماضي مثل ذهب وكلمة امر للفعل الدال على الفعل الحاوي معنى الامر مثل إذهبْ واقتلْ. ومن هذه الطائفة كلمات كثيرة في الحساب والجبر والهندسة والفلك والطب والفقه مثل الجمع والطرح والقسمة والكسر والجبر والمعادلة والزاوية والهرم

والطائفة الثانية الكلمات العربية المبنى التي لا تظهر لها اقل علاقة بمعنى ما وضعت لهُ مثل كلمة المضارع للفعل ومثل كلمة نحو للعلم المعروف وكلمة وتد وكلمة سبب في علم العروض. وهذه الكلمات كثيرة وقد بحثنا عن اصل بعضها فكشفنا ما ادهشنا فكلمة نحو اسم بلد في مديرية المنوفية من القطر المصري نُسب اليها الاسقف القبطي المؤرخ يوحنا النحوي الذي كان في زمن الفتح فخلط العرب بينهُ وبين يحيى الغراماطيقي اليوناني الذي كان قبل الفتح بزمن طويل فحسبوهما رجلاً واحداً واستنتجوا أن كلمة نحوي مرادفة لكلمة غراماطيقي واذن فكلمة نحو اسم لعلم قواعد اللغة عند اليونان. وبعد ان استنتجنا ذلك وجدنا ما يؤيدهُ في لسان العرب في كلمة نحو. ومن هذا القبيل كلمة وتد في فن العروض فانها ترجمة حرفية للكلمة اليونانية ولكن للكلمة اليونانية معنيين مختلفين من اصلين مختلفين الواحد معناهُ صوت او مقطع او نغم والثاني معناهُ الوتد الذي يدقُّ في الارض او في الحائط والظاهر

ان الذين ترجموا العروض من اليونانية لم يكونوا يعرفون العروض فترجموا هذه اللفظة بالمعنى المتعارف اي الوتد الذي يُدَقُّ . ونرجح انهُ اذا تناول هذا الموضوع اناس يحسنون السنسكريتية والفارسية واليونانية والسريانية وجدوا مئات من الكلمات المحسوبة عربية فارسية وما هي الاَّ معرّبة

الطائفة الثالثة الكلمات المعربة على اصلها او مع شيء من التحريف وهذه في الطب والشرع والموسيقى تَعُدُّ بالالوف

هذا كان لما كانت اللغة حية تنمو من الداخل ومن الخارج ولا مجامع لغوية تمنع نموها ونحن الآن أمام امر واقع في هذه النهضة الحديثة التي نشأت منذ ايام محمد علي باشا . وهذا الامر لا يتعرض لقواعد اللغة من حيث وضع العوامل والمعمولات ولا لتصاريف الافعال والاسماء ولا لحروف الجرّ والعطف والاستفهام ونحوها من حروف المعاني ولا لقواعد الاعراب والبناء اي انهُ لا يتعرض لجوهر اللغة وغاية ما فيه ادخال كلمات جديدة لمعانٍ جديدة والاتفاق على ترجمة بعض المصطلحات العلمية الجديدة اي السير بالعربية كما سير بها في القرن الثاني والثالث والرابع والخامس بعد الهجرة بل كما سير بها قبل الهجرة من اتصال العرب بمصر والشام ومن سكنى اليهود في بلاد العرب ومن تنصر كثيرين من العرب على يد قسوس من السريان واليونان .فان العربية تناولت من هؤلاء كلهم كلمات كثيرة حسبت بعدئذٍ من صميم العربية

ولعلنا من اشد الكتّاب شعوراً بهذا الامر الذي نشير اليه اي الاتفاق على ترجمة المصطلحات الجديدة أو تعريبها فاننا من حين شرعنا في انشاء المقتطف رأينا ان لا بدَّ لنا من الترجمة والتعريب فنظرنا اولاً في المصطلحات العلمية التي جرى عليها الاقدمون كابن الهيثم في الحساب والجبر وابن سينا في الطب والطبيعة وابن البيطار في المقاقير الطبية والبتاني في علم الفلك والتي جرى عليها اساتذتنا في الجامعة الاميركية ومدرسة قصر العيني الطبية

نعم رأينا انهُ لا بد لنا من استعمال كثير من المصطلحات العلمية وهذه اما ان نجدها فيما لدينا من الكتب القديمة كقانون ابن سينا ومفردات ابن البيطار وتحفة ابن الهيثم وزيج البتاني وما اشبه من الكتب العربية العلمية او فيما طبع من الكتب المترجمة في مدرسة قصر العيني وجامعة بيروت الاميركية . واما ان نضطر الى ترجمتها او تعريبها فجارينا الذين سبقونا فيما ترجموهُ او عربوهُ وحذونا حذوهم في ترجمة ما جدَّ بعدهم او تعريبه فجارينا الدكتور فانديك في كل ما ترجمهُ وعربهُ في الطب والجبر والهندسة والانساب والمثلثات والمساحة وسلك الابحر والفلك والكيمياء والدكتور ورتبات في الفسيولوجيا

والتشريع والدكتور بوست في النبات والحيوان والجراحة ورأينا انهم هم تابعوا اساتذة قصر العيني في كثير مما ترجموهُ او عربوهُ

ثم حذونا حذو هؤلاء الاعلام في ترجمة ما جدَّ وتعريبه ولكنَّ الكتب العلمية المترجمة حديثاً في القطر المصري لا يجري مترجموها مجرانا فيما يترجمهُ واضعوها فنحن مثلاً نترجم كلمة Atom بكلمة جوهر او جوهر فرد لان العرب ترجموها كذلك وقالوا ان الجوهر هو الجزء الذي لا يتجزأ واما المترجمون في مصر فيترجموها بكلمة ذرة ونحن ترجمنا الكلمة quantum بكلمة مقدار والجمع quanta مقادير وتلامذة المدرسة المصرية ترجموها بكلمة كمّ اما نحن ففضلنا كلمة مقدار لانهُ يسهل جمعها على كلمة كم التي لا تجمع

وبعض الكلمات التي ترجمناها شاع كثيراً ومن ذلك كلمة غواصة ودبابة ورشاشة ونواة ولكن بعضها قليل الاستعمال مثل كهرب لكلمة electron ونرى الآن ان الاتفاق على ترجمة الاسماء العلمية الجديدة في مصر والشام والعراق وتونس والجزائر والمغرب الاقصى يكاد يكون ضرباً من المحال ولا تجنى منهُ فائدة كبيرة وخير منهُ تعريب هذه الاسماء على ما هي لانها (اولاً) عديدة جدًّا تزيد على خمسمائة الف اسم في الحيوان والنبات والجماد فترجمتها كلها تقتضي السنون الطوال ولو توخاهُ جماعة من العلماء. وقبل ان يتفقوا على ترجمة الف اسم من هذه الاسماء يكون العلماء قد اكتشفوا اكثر من الف اسم جديد فيزيد بعدنا عن الغاية المطلوبة فمحاولة ترجمتها ضرب من المحال اما التعريب فلا يكلف الا كتابتها بحروف عربية. (ثانياً) لان الذين سبقونا مثل ابن سينا وابن البيطار جروا على هذه الخطة في كل الاسماء العلمية التي دخلت فيما كتبوهُ فان كل اسم ليس لهُ مرادف في العربية عربوهُ بلفظهِ اليوناني او الفارسي. (ثالثاً) ما يقال عن الاسماء المجردة يقال عن مشتقاتها اما في المشتقات فتتبع القواعد العربية في المثنى والجمع والنسبة ووزن الفعل ان أمكن والتعريب انما يكون متى كان اللفظ ليس لهُ مرادف في العربية اما ما لهُ مرادف فتجب ترجمتهُ بمرادفهِ ولو كان المرادف غير عربي الاصل

ثم ان الكلمات العلمية قد لا تكون واحدة في الانكليزية والفرنسوية والايطالية مثال ذلك كلمة Nitrogen الانكليزية فانها في الفرنسوية Azote واكثر الذين ترجموا عن الانكليزية عربوها بكلمة نتروجين والذين ترجموا عن الفرنسوية عربوها بكلمة ازوت ولكن هؤلاء اذا ذكروا حوامض هذا العنصر واملاحهُ قالوا حامض نتريك ونترات الصوديا. فاذا اختلف اسم المادة الواحدة في لغتين مختلفتين من لغات اوربا فالاولى اتباع اكثر اللغات استعمالاً لان الفوز سيكون لها اخيراً